

الطول في الصوت اللغوي (دراسة نطقية ووظيفية في اللغة العربية)

د/ ربيعة برباق - جامعة تبسة

الملخص:

لا شك أن أي حدث كلامي مهما كان نوعه يحدث في فترة زمنية معينة، بغض النظر عن طولها أو قصرها، بما في ذلك الصوت اللغوي كوحدة أساسية في الحدث الكلامي، فقد عني المحدثون بمعرفة طولها سواء أكان صوتا صائتا أم صوتا صامتا، فتحدثوا عن طبيعته وأنواعه، ووظائفه، إلا أنهم اختلفوا كثيرا في الفرق بين الأصوات الطويلة ونظائرها القصيرة، خصوصا في اللغة العربية، أيتوقف هذا الفرق عند حدود الكمية، أم أنه يتعدى إلى فروقات أخرى إلكيفية والوظيفية وغير ذلك؟

لذلك سنحاول في هذا المقال التعرف على طبيعة الطول في الصوت اللغوي، ونحاول تفسيره نطقيا، وبيان خصائصه النطقية ووظائفه اللغوية في اللغة العربية.

Résumé

Tout type d'unité parole passe dans un délais défini, que ce soit long ou court, notamment lorsque il s'agit de phonème comme une unité linguistique principale.

Les nouveaux linguistes sont intéressés de la recherche sur le sujet de la longueur de phonème (consonne, ou voyelle), alors ils ont essayé de connaître sa réalité physiologique, ses types ainsi que ses fonctions.

Mais il ont des avis différents sur la différence entre les phonèmes long et leurs opposites qui sont courtes, surtout dans la langue arabe, ce qui pose la question :

S'agit t'il d'une différence de quantité, ou elle dépasse a d'autre différence comme la manière d'articulation et la fonctionnalité... etc ?

Pour répondre a cette dernière question en va essayer durant cette article a définir la longueur de phonème et le justifié physiologiquement et définir leur caractéristique et fonctionnalités dans la langue arabe

مقدمة:

لا شك أن أي حدث كلامي مهما كان نوعه يحدث في فترة زمنية معينة، بغض النظر عن طولها أو قصرها، بما في ذلك الحديث اللغوي وبالتحديد الصوت اللغوي كوحدة أساسية في الحدث الكلامي.

ويقصد بطول الصوت اللغوي تلك المدة الزمنية التي تستغرقها عملية النطق بهذا الصوت، ويطلق عليها بعض العلماء اسم "كمية الصوت"، ويقاس هذا الطول عادة بجزء من الثانية.

ومما عني به المتحدثون في تجاربهم معرفة طول الصوت اللغوي، سواء أكان صوت لين (لائتا) أم صوتا ساكنا (صامتا)، ولم يقتصروا في ذلك على طول الصوت المفرد، بل اهتموا بالإضافة إليه بأطوال المقاطع الصوتية، والكلمات والجمل والأحداث اللغوية المختلفة¹، فنقول عن الصوت اللغوي أنه طويل إذا كان نطقه يستغرق مدة زمنية أطول من تلك التي يستغرقها النطق بالأصوات التي تشترك معه في الحدث الكلامي.

أنواع الطول في الصوت اللغوي:

قد يكون الصوت اللغوي ذا طول طبيعي، كما يمكنه أن يكسب طولا غي الطول الطبيعي الذي ينطق به بمعزل عن السياقات الصوتية في النظام التركيبي، وبمعزل عن الملامح الصوتية الفوققطعية، أي الثانوية، وبالتالي فإما أن يكون طول الصوت اللغوي:

طبيعيا: حيث إن كل صوت لغوي ينطق في مدة زمنية معينة، وتختلف الأصوات اللغوية في طولها الطبيعي تبعا لصفاتنا وخصائصها الفيزيولوجية، "فأصوات اللين بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة، على أنه حين قيست أصوات اللين وجد أن الفتحة أطول من الكسرة والضمة، يلي أصوات اللين في الطول الطبيعي الأصوات الأنفية، وهي النون والميم، فهما من أطول الأصوات الساكنة، ثم الأصوات الجانبية، كاللام ثم المكررة كالراء، ثم الأصوات الرخوة ذات الصفير أو الحفيف، وأقل الأصوات الساكنة طولا هي الأصوات الشديدة أو الانفجارية"².

وهناك أصوات أطول بطبيعتها من كل الأصوات المذكورة سابقا، وهي الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة والضمة الطويلة، أو ما يسمى في العربية بحروف المد، وهي (الألف والياء والواو)، حيث أن وجود هذه الأصوات يرتبط بوجود صفة الطول فيها.

واللغويون _عادة_ يقسمون أصوات اللين إلى نوعين فقط: الفتحة والكسرة والضمة -مطلقا- أصوات لين قصيرة، والألف والياء والواو -مطلقا- أصوات لين طويلة، وهذا -طبعاً- يخص الحركات (الصوائت) فقط، ولا يخص أنصاف الحركات. والفرق بين الأصوات الطويلة والقصيرة - حسب كثير من علماء العربية - يكمن في المدة الزمنية التي تستغرق في عملية النطق بها؛ حيث أن أصوات اللين العربية لا تفقد سماتها وخصائصها حين تطول أو تقصر والاختلاف يحدث فقط على مستوى الزمن.

و"مادام طول الحركة مرتبطاً بالزمن فإنه يمكن تعريف طول الحركة [فيزيولوجياً] بأنه المدة الزمنية التي يستمر فيها شكل الفراغات العليا (فراغات فوق الحنجرة) ثابتاً على حاله عند النطق بالحركة، ذلك أن أعضاء النطق عند النطق بالحركة تبقى ثابتة على وضع معين مدة من الزمن، وبالقدر الذي يستمر فيه هذا الوضع مع استمرار تدفق الهواء المنتج للحركة يكون طول الحركة"³.

بمعنى أن الفرق بين الحركات الطويلة والقصيرة في العربية حسب كثير من العلماء فرق في الكمية لا في الكيفية، لأن وضع اللسان في كليهما واحد⁴، أما في بعض اللغات كالإنجليزية فإن أصوات اللين القصيرة قد تفقد مقاييسها حين تطول أو تقصر.

يقول مصطفى حركات: "المصوت الممدود هو مصوت يختلف عن غيره بمدة النطق، وهذه المدة لا تعين بالثواني، وإنما تحدد بالمقارنة الطويل والقصير في خطاب معين، وقد يستغرق نطق مصوت طويل -أحياناً- مدة قصيرة عند شخص يتكلم بسرعة، ويكون نطق مصوت قصير أطول زمناً من ذلك الطويل عند متكلم يتأنى في حديثه، وفي سلسلة كلامية محددة يظهر الفرق بين المصوت الطويل والقصير بصفة جلية"⁵.

لذلك ذهب ستيتسون (Stetson) "إلى أن إنتاج الحركة القصيرة أو الطويلة مرتبط بتوظيف كل منهما في مقطع، لا لأنها مجرد حركتين، وأظهرت الدراسات التي أجريت على الراسم الطيفي، أن الحركة لا تتفصل عن الصامت الذي في المقطع، كما أن تدرجاً يظهر في الانتقال من النموذج الأكوستيكي للصامت، إلى النموذج الأكوستيكي للحركة، ولا شك أن (Stetson) في هذا المذهب ينظر إلى الحركة من حيث كونها جزءاً من مقطع"⁶.

لأن الدراسات الصوتية الحديثة تؤكد أن الفونيم -سواء أكان حركة أم صوتاً ساكناً- لا يمكنه نطقه مستقلاً، لأن الوحدات النطقية الصغرى هي المقاطع الصوتية، فالفونيم لا يمكن تجسيده نطقياً إلا ضمن مقطع صوتي يتكون

على الأقل من صامت وصائت، ويعرفه الأب أنستاس ماري الكرملّي بأنه "صوتية يمكن النطق بها منفصلة أو مستقلة عما قبلها أو ما بعدها"⁷.

وحين نتحدث عن الطول الطبيعي للصوت اللغوي فإننا "صوتية" الطول الطبيعي المعروف في الكلام العادي، لأن كل الأصوات اللغوية يمكن إطالتها بالقدر الذي تسمح به كمية الهواء المندفعة من الرئتين، وحتى الأصوات الساكنة يمكن إطالتها لبعض الوقت، عن طريق إطالة عملية غلق المخرج أو تضيقه لفترة زمنية معينة"⁸. وهذه الفترة المسموح بها تختلف من صوت ساكن إلى آخر حسب خصائصه الفيزيولوجية.

والطول بهذه الصفة لا يعد فونيمًا، أي وحدة صوتية وظيفية، إلا إذا تعلق الأمر بإطالة الحركات القصيرة، كما أن الحركات الطويلة ذاتها يمكن إطالتها أكثر مما هي عليه في طبيعتها، وهي أكثر الأصوات تعرضا وقابلية للإطالة الوظيفية، وهذا ما نلاحظه بجلاء أثناء تجويد القرآن الكريم.

وبالتالي فإن طول الصوت اللغوي يحدد من خلال طبيعته أولا، ثم من خلال الأصوات المجاورة له في التركيب، ومن خلال ما يلحقه من نبر، وتنغيم، وغيرهما من الملامح الصوتية الثانوية، وبذلك نقول: إن "الصوت الواحد قد يختلف طوله تبعا لمحيطه الصوتي، وموقعه في الكلمة ولسرعة المتكلم، ولوجود النبر أو عدمه، ولنغمة الكلام"⁹. ومن ثم يكون طول الصوت اللغوي بهذه الصفة:

مكتسبا: وأهم العوامل التي تكسب الصوت اللغوي طولا غير طبيعي من خلال ما سبق، هو ما يلحق الكلام من سياقات نغمية أو نبرات صوتية أو إطالة ومد، "فالصوت المنبور أطول منه حينما يكون غير منبور، وانسجام الكلام في نغماته يتطلب طول بعض الأصوات اللغوية وقصر البعض الآخر، إذ يميل الصوت المنبور إلى القصر إذا وليه صوت غير منبور، وذلك تحقيقا لرغبة الكلام في تقارب مقاطعه المنبورة بعضها من بعض، فإذا كثرت المقاطع غير المنبورة، بعد مقطع منبور قللت من طولها، فالألف في كلمة (كتاب) أول منها في العبارة (كتاب التلميز)"¹⁰، كذلك نلاحظ زيادة طول الألف الثانية في (دبابات) بسبب وقوعها في مقطع منبور¹¹.

كما يمكن للتنغيم أن يطيل بعض الأصوات ويقصر بعضها الآخر، تبعا لنماذجه في الكلام، فعبرة (يا سلام) التي وردت في الاستعمالات اليومية تأخذ فيها الألف أطوالا مختلفة حسب أغراضها المختلفة، أي حسب النماذج التنغيمية التي تلحقها، فقد تطول الألف الثانية أكثر من العادة لتدل على الفرح أو الدهشة أو الإعجاب، وقد تقصر أكثر من عاداتها لتدل على التهكم والاستهزاء.

أما عن تأثير الصوت اللغوي بما يجاوره من أصوات في السياق التركيبي، "فمما لاحظته المحدثون أن صوت اللين يزداد طولاً إذا وُلِّيه صوت مجهور، فـصوت اللين (i) في الكلمة الإنجليزية (Bid) أطول منه في كلمة (Bit) وكذلك لاحظوا أن الصوت الساكن يكون أطول إذا سبقه صوت لين قصير، والعكس بالعكس، فالنون في (Bin) أطول منه في (Bit) وكذلك لاحظوا أن الصوت الساكن يكون أطول إذا سبقه صوت لين، والعكس بالعكس، فالنون في (Bin) أطول منها في (Men) والنون في (Man) أقصر من الاثنين، لأن صوت اللين (A) أطول من (E) وهذا أطول من (I)¹².

وهذه القاعدة لا تستوعبها كل اللغات في العالم، إذ وجد العلماء أن بعض اللغات تحافظ على الأطوال الطبيعية لأصواتها مهما كان النظام الصوتي الذي تقع فيه، وبينوا أن اللغات التي يتأثر فيها طول الصوت اللغوي بما يجاوره في النظام الصوتي هي اللغات التي تهتم بالمحافظة على طول المقطع الصوتي كالإنجليزية، والشيء نفسه بالنسبة للكلمات العربية: بن، لا، كم، عن، ما... وغيرها.

وظيفة الطول في الصوت اللغوي:

سواء أكان الطول في الصوت اللغوي طبيعياً أم مكتسباً، يعد من الخصائص الصوتية التي يجب على المتكلم مراعاتها أثناء الكلام، بحيث يتميز بأهمية كبيرة في عملية "النطق باللغة نطقاً صحيحاً، فالإسراع بنطق الصوت أو الإبطاء به يترك في لهجة المتكلم أثراً أجنبياً عن اللغة ينفر منه أبنائها. وليس من الضروري أن يعرف المرء مقدار الزمن الذي يستغرقه نطق كل صوت ليصح نطقه، بل إن الأثر السمعي يكفي عادة من ضبط هذا الطول، دون حاجة إلى المقاييس الآلية"¹³.

لذلك نلاحظ أثناء تعلمنا لأية لغة أجنبية أننا نبطئ كثيراً في عملية النطق بمقاطعها وكلماتها وجملها، مما يجعل أي متكلم أصلي يعرف أن المتكلم أجنبي، أي غير متعود على عملية النطق بلغته. كما يمكن الملاحظة أن بعض الأشخاص ينطقون بلغتهم ببطء غير عادي أو بسرعة غير مألوفة، وهذه الحالات يمكن عدها من عيوب النطق والكلام الناتجة عن عوائق نفسية أو ذهنية، مما لها من أثر على العادات النطقية للأفراد.

وبذلك نقول: إن إطالة الصوت في موضع الإطالة وتقصيره في موضع القصير يحقق فصاحة الكلام، كما أن الإخلال بهذه القاعدة قد يؤدي إلى تشويه أو غموضه.

والأهم من كل هذا أن الطول قد يكون له دور كبير في تحديد المعاني اللغوية، فيعد فونيمًا، وقد يكون هذا الفونيم العنصر الوحيد الذي يميز بين منطوقين متشابهين تركيبياً، والمد أو الطول من أهم الظواهر الصوتية التي تلحق الكلام، وهو في الحقيقة مثل النبر يلحق أصوات اللين بصفة خاصة، بغض النظر عن تأثير الأصوات الساكنة المجاورة لها.

وبالتالي فإن فونيم الطول _كلمح صوتي فوقي_ ساحب بعض الأصوات في الكلام فيكسبها طولاً غير عادي بغض النظر عن كونه فونيماً فوقطعياً أو مجرد ملمح صوتي.

وهناك بعض الأصوات في بعض اللغات كالعربية - الالف والياء والواو يتوقف وجودها على هذه السمة، أي أنها بطبيعتها تتحقق عن طريق هذه السمة التمييزية، وهي في نظر أغلبية الدارسين عبارة عن حركات قصيرة أضيف إلى كل منها سمة الطول "واللغات التي تستخدم الطول كملح تمييزي تقابل بين الطوال (The Longs) والقصار (The Shorts)¹⁴، مثلما هو حال اللغة العربية.

أما دانيال جونز (Daniel Jones) "فقد عد الطول في هذه الحركات ذا قيمة وظيفية فوقية، وأطلق عليه مصطلح "ألوكرونيم" (Allochroné)¹⁵. أما بالنسبة للأصوات الساكنة فلا يكون الطول فيها فونيماً فوقطعياً رغم تعرضه لتغييرات ناتجة عن بيئته الصوتية في المقطع أو الكلمة أو العبارة، لأنه لا يؤدي وظيفة تمييزية.

الطول طبيعته ووظائفه في الصوت اللغوي العربي:

لقد اهتم قراء القرآن الكريم بطول الصوت اللغوي اهتماماً كبيراً خاصة منها الأصوات اللينة الطويلة (الالف والياء والواو) بالإضافة إلى بعض الأصوات الساكنة كالنون والميم واللام والراء، حيث وضعوا لها قوانين وأحكاماً خاصة بطريقة إطالتها، "وظهر هذا جلياً في حديثهم عن أحكام الميم والنون الساكنتين، فقد حاولوا أن يحولوا بين هذين الصوتين وفنائهما فيما بعدهما من أصوات، فأطالوا الميم حين يليها الباء، وحين تكون مشددة، كما أطالوا النون مع خمسة عشر صوتاً هي التي عرفت بالأصوات التي تخفى معها النون"¹⁶.

وقد تحدث علماء التجويد عن الطول في الصوت اللغوي أثناء قراءة القرآن وسموه المد، وقابلوه بالقصر، وبيّنوا أنواعاً ثلاثة منه، وهي: الواجب واللازم والجائز، وتجدر الإشارة إلى أن هذه القواعد خاصة بالنص القرآني لما

فيه من إعجاز صوتي، كونه كلاماً إلهياً من ناحية، وبلسان عربي فصيح من ناحية أخرى.

ويمكن تلخيص قواعد المد والقصر في أبيات من منظومة التحفة للشيخ سليمان الجمزوري. يقول:

والمَد أصلي وفرعاً ـــــــــــــــــــــــــه	وسمّ أولاً طبيعياً وهذا ـــــــــ
ما لا توقّف له على ســـــــــــــــــب	ولا بدونه الحروف تجتلب ـــــــــ
بل أي حرف غير همز أو سكون	جا بعد مـــــــــــــــــد فالتطبيعي يكون ـــــــــ
والآخر الفرعي موقوف على ـــــــــ	سبب كهمز أو سكون مسجـــــــــــــــــب ـــــــــ
حروفه ثلاثة ـــ	من لفظ (واي) وهي في نوحها ـــــــــ
والكسر قبل اليا وقبل الواو ضالم	شرط وفتح قبل ألف يلتزم ـــــــــ
واللين منها (الواووا) مكنـــــــــــــــــا	إن انفتاح قبل كل أعليـــــــــــــــــا ¹⁷

كما اهتم النحاة بظاهرة تقصير أصوات المد "وذلك مع الجزم كما في نحو (ينام، يقوم، يبيع، يرضى، يسمو، يرمي)، حين يدخل على هذه الأفعال أداة جزم تصبح (ينم، يقم، يبع، يرض، يسم، يرم)، فكل الذي أصابها هو أن صوت اللين الطويل أصبح قصيراً من الناحية النطقية، وهذه الظاهرة مطردة في اللغة العربية، تحتملها قواعد اللغة¹⁸، مما يبين أن لقواعد النحو أثر في طول الصوت اللغوي في حالة الجزم، كما تقصر الحركة في حالة الوقف على أواخر الكلمات بما يسميه القراء بالروم، حيث تقصر الضمة أو الكسرة أو الفتحة حتى تصبح قصيرة جداً لا تكاد تسمع إلا عن قرب.

وبذلك يكون لأصوات اللين في العربية ثلاث درجات، أولها أصوات اللين الطويلة في مثل كلمة (يسمو)، ويليهما في الطول الحركات القصيرة في مثل (لم يسم)، وأقلها طولاً في الوقف بالروم في مثل (نستعين).

كما عني القراء بإطالة أصوات اللين الطويلة ضعفاً أو ضعفين حين يليها همزة أو صوت مدغم، كما في كلمة (يشاء)، وكلمة (وللضالين)¹⁹ ـــــــــــــــــ لا نجدها في الشعر والنثر والكلام العادي، وهي رغم ذلك ليست غلالة وظيفية، إذ إنها مجرد طريقة في الأداء لا غير (طريقة في قراءة القرآن الكريم).

أما بالنسبة للطول الوظيفي أي التمييزي، فقد وجد العلماء صعوبة كبيرة في دراسة أصوات اللين الطويلة وكذا الحركات القصيرة، حيث اعتبرها البعض فونيمات أساسية كغيرها من الأصوات الساكنة، إذ يمكن إجراء عملية التبديل بين الحركات القصيرة وغيرها من الأصوات الساكنة، مثل (على قدر) و(ـــــــــــــــــ قدر)، فالقدر بالسكون على الدال، غير القدر بفتحها.

والشيء نفسه بالنسبة للحركات الطويلة التي تتقابل مع القصيرة أو غيره من الصوامت في عملية التبديل، ويتجلى ذلك بوضوح في الثنائيات التالية: (هَمْ، هَامْ)، (عَمْ، عَامْ) (أَمْ، أَمَّ)، (رَاءَ، رَأَى) (مَاتَ، مَتَى)، وغيرها من الثنائيات التي تبين الوظيفة التمييزية للحركات القصار والطوال في العربية، وقد بينا ذلك بالتفصيل فيما سبق.

ولكن الأهم في هذه النقطة هو معرفة ما إذا كان الطول في الحركات الطويلة في العربية سمة تمييزية، أي وظيفية، تجعلها فونيمات أساسية مستقلة عن نظيرتها القصيرة، أم إن الطول فيها يعد من الخصائص المصاحبة لها في سياقات معينة، بمعنى أنه فونيم ثانوي يلحق بالحركات القصيرة في بعض المواضع لأغراض دلالية معينة.

لقد اختلف علماء اللغة المحدثون حول هذه القضية، حيث اعتبر البعض الحركات الطويلة هي القصيرة أضيف إليها فونيم الطول كملح صوتي ثانوي، بمعنى أن الفرق بين الحركات القصار والطوال هو أن (الألف والواو والياء) تأخذ زمنا أطول من الحركات (الفتحة والضمة والكسرة)²⁰.

وبالتالي يكون "من الممكن أن نعتبر الفتحة الطويلة هي القصيرة + فونيم الطول"²¹ وهكذا بالنسبة للواو والياء.

وقد أشار ابن جني إلى هذا المفهوم في قوله: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد"²²، مستدلا بأن النحاة العرب كانوا يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة. ومع ذلك نجده قد فرق بين ثلاثة أنواع من الطول: قصير وطويل وأطول²³.

أما المقابلة بين القصير والطويل فقد تناولناه سابقا وأعددناه من قبيل التبديل بين الفونيمات التركيبية المتميزة التي تحدد الدلالات المعجمية للألفاظ، وأما مقابلة الطويل بالأطول فهو إما مجرد تنويع صوتي موقعي لا أثر له في المعنى كما قال "ابن جني"²⁴، وإما يتعدى ذلك إلى وظائف أسلوبية مثلما لا حظناه في عبارة (سَلَام)، وكذلك كلمة (الله).

والمثير للانتباه هو أن بعض العلماء يرمزون إلى الحركة الطويلة برمزيين للحركتين القصيرتين من الجنس نفسه، فتكتب مثلا كلمة (كاتب) أثناء تقطيعها إلى فونيماتها التركيبية كما يلي:

(ك + ا + ت + ب + ك + ك)

أو (ك + ك + ك + ت + ب + ك + ك)

باعتبار الحركة الطويلة هي مجموع حركتين قصيرتين.

ولكن الواقع النطقي ينفي ذلك، فالألف (ا) صوت واحد غير منقطع، كما أن التبديل بينهما وبين الفتحة في مثل (كتب وكاتب)، لا يمكن لأن الأولى ستكون أقل عددا في فونيماتها عن الثانية، والتحليل التالي يبين ذلك.

$$\begin{aligned} & (\text{ك} + \text{ت} + \text{ب} + \text{ا}) = \text{كتب} \\ & (\text{ك} + \text{ت} + \text{ب} + \text{ا} + \text{ا}) = \text{كاتب} \end{aligned}$$

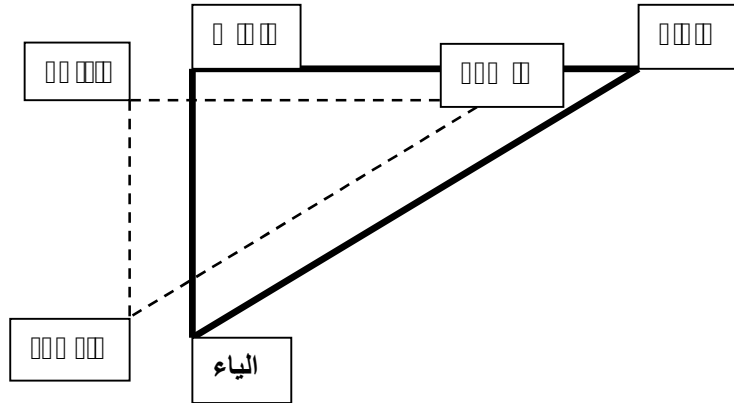
فلا يمكن بهذه الطريقة إجراء التبديل بين الحركات الطويلة والقصيرة إذا كانت الأولى تمثل حركتين قصيرتين متتاليتين، لأن عدد الفونيمات فيهما غير متكافئ.

أما إذا اعتبرنا الحركة الطويلة هي القصيرة + فونيم الطول (فونيم ثانوي)، فإن تقطيع الكلمتين السابقتين سيكون كما يلي:

$$\begin{aligned} & (\text{ك} + \text{ت} + \text{ب} + \text{ا} + \text{ا}) = \text{كتب} \\ & (\text{ك} + \text{ت} + \text{ب} + \text{ا} + \text{ا} + \text{ا}) = \text{كاتب} \end{aligned} \quad ^{25}$$

وبالتالي تكون الكلمة الثانية هي نفسها الكلمة الأولى من الناحية التركيبية أضيف إلى أحد مقاطعها فونيم ثانوي ألا وهو (الطول)، وقد كان لهذا الطول دور في تغيير دلالتها الصرفية.

لكن الدراسات التشريرية الحديثة لمخارج الأصوات خاصة في اللغات الأجنبية كاللغة الإنجليزية، قد أثبتت أن الاختلاف بين العلل الطويلة والقصيرة منعزلة عن السياق ليس خلافا في الكمية فقط، وإنما في الكيفية كذلك، فموقع اللسان أثناء النطق بإحدى العلتين المتقابلتين في الطول والقصر مختلف قليلا كما يتضح في الرسم التالي²⁶.



والفوارق التي تسجل هي كالتالي:

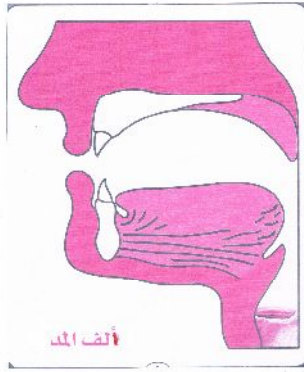
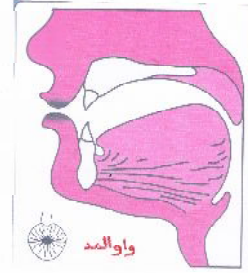
الكمية (Qantity) أو الطول (Length - Duration)

الكيفية (Qualitative Feature)

النطقية (Articulation) 27.

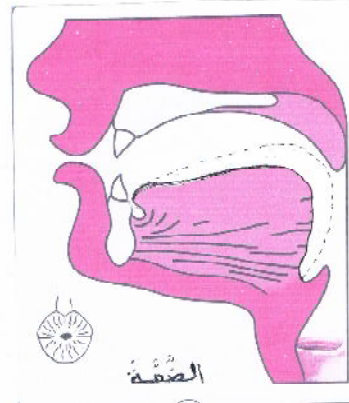
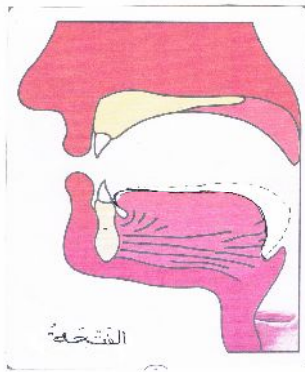
والرسومات التالية تبين طريقة النطق بالحركات الطويلة وكذا الحركات القصيرة، مع بيان الفرق بين الحركة الطويلة ونظيرتها القصيرة.

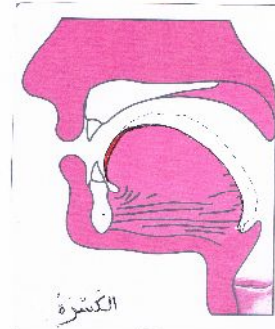
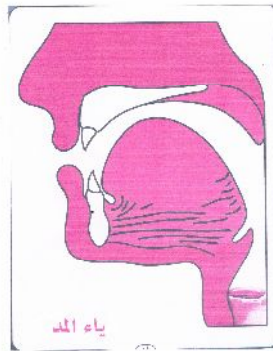
حيث نلاحظ أن موضع اللسان في الفم، أثناء نطق الواو مثلا يختلف عن موضعه أثناء نطق الضمة، فهو أكثر ارتفاعا إلى الحنك، وأكثر تأخرا إلى الورا، كما هو موضح بالخطوط المنقطعة.



والأمر ذاته بالنسبة للفرق بين نطق الفتحة ونطق ألف المد، حيث نلاحظ من خلال الرسمين السابقين أن موضع اللسان في نطق ألف المد (الفتحة الطويلة) أكثر تأخرا نحو الخلف منه في نطق الفتحة القصيرة.

وكذلك الأمر بالنسبة للنطق بياء المد (الكسرة الطويلة) والكسرة القصيرة، كما هو مبين في الرسمين المواليين:





وبالتالي نستنتج أن الطول في (الواو والياء والألف) يس سمة عارضة أو ثانوية، بل هو من سماتها التمييزية، وصفاتها الفيزيولوجية، أو بتعبير آخر هو جزء من ماهيتها وطبيعتها النطقية، كما أن هذه الحركات عبارة عن وحدات صوتية منفردة، لا يمكن اعتبارها مجموع وحدتين أصغر منها.

وأما الطول الذي يجب أن نعهده ملمحا ثانويا، فهو ذلك الذي يمكنه أن يلحق أي صوت لغوي تركيبي مهما كان نوعه (صامتا أو صائتا) أغراض دلالية أو صرفية أو نحوية، ويظهر جليا أثناء النطق، ولا يعد وحدة تركيبية.

فاللهجات العربية -مثلا- تعتمد على فونيم الطول للدلالة على المعاني، أو تخصيصها، وتدقيقها كالدلالة على بعد الزمان أو طوله، والدلالة على بعد المكان أو طول المسافة، أو الدلالة أو الحجم أو الطول... وغير ذلك.

ولعل أحسن مثال على ذلك العبارة المصرية الواردة في إحدى البرامج الفكاهية الجزائرية (بلا حدود)، "إحْنْ عِثْنَا بطاطا أَدْ كِدا"، حيث اعتمد فيها الممثل على فونيم الطول لتحديد المعنى المقصود من العبارة (أد كدا)، فالعبارة يمكنها أن تدل على شيء معين للتمثيل به، أو على صغر حجم البطاطا، أو على شدة ضخامة حجمها. فكان اعتماد الممثل على مد طول الصوت في الألف دالا على المعنى الأخير دون الاحتمالات السابقة.

ويقوم مد طول الصوت أيضا بأداء أغراض بلاغية كثيرة كالمبـدأ والتأكيد، والإعجاب وغير ذلك. كما يمكنه أن يعوض كلمات محذوفة من العبارة، كالصفة، كما ورد عن العرب القدماء في قولهم: "سير عليهم ليل" بمد ياء ليل ليفهم منه معنى ليل طويل.

كما يمكن أن يكون مد الصوت وسيلة لاختصار العبارة، كقولنا:
"بعببيبيد"، بمد الياء، اختصاراً لقولنا: "بعيد جداً".

وفي الأخير نستخلص أن الطول في الصوت اللغوي يمكنه أن يكون سمة جوهريّة في الفونيمات التركيبية، في بعض اللغات كالعربية، ويقوم بذلك بالتمييز بينها وبين نظيراتها القصيرة، ويكون بذلك طولا طبيعيا فيها، ويقوم بوظائف تمييزية، في المستويات اللغوية (الصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية)، كما يمكنه أن يكون ملمحا ثانويا يلحق ببعض الأصوات في بعض السياقات، ويؤدي بذلك وظائف دلالية أو بلاغية معينة، ولكن دون أن يخرجها من طبيعتها النطقية التركيبية، وهذه الظاهرة الصوتية موجودة في معظم اللغات الإنسانية.

الهوامش:

1. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3 1985 266.
2. إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1 1981 154.
3. سمير شريف استثنائية الأصوات اللغوية (رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية) 241 2003 10 241.
4. حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 2004 127.
5. مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الأفاق، الجزائر العاصمة، () 33_34.
6. مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الأفاق، الجزائر العاصمة، () 33_34.
7. مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الأفاق، الجزائر العاصمة، () 33_34.
8. سمير شريف استثنائية الأصوات اللغوية، ص241_242.
9. ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1 1985 312.
10. المرجع نفسه، ص312.
11. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص155.
12. توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، دار التضامن للطباعة والنشر، القاهرة، ط1 1980 111.
13. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص159.
14. 154 154.
15. 198 198.
16. ينظر المرجع نفسه، ص199.
17. صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1 2006 97.
18. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص155_156.
19. 157 157.
20. المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.
21. ينظر: توفيق شاهين، علم اللغة العام، ص111.
22. 311 311.
23. أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح حسن الهنداوي، دار 1980 10 17.
24. ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، هامش الصفحة 311.
25. ينظر المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.
26. ينظر: المرجع نفسه، ص282_283.
27. ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 1998 201.